أميركا حق العلم أنه لا يمكن أن يستمر إلى ما لا نهاية، ولذلك كان اعتمادها على أي نظام عربي، أو تحالفها معه، مؤقّتاً بطبيعته مهما طال أمده، وكان دائماً **ثانوي الأهمية** بالقياس إلى إسرائيل» (ص ٥٣).

ويفرد الدكتور زكريا واحداً من أهم فصول بحثه لـ «قضية الايديولوجيا والتنمية»، إذ أن التنمية من وجهة نظره، وهذا صحيح، «ليست مجرّد «نمو»، كما قد يوحي أصل اللفظ ذاته، وإنما هي مسيرة شاملة تسترشد في سعيها إلى التقدّم بأفكار رئيسية توجّهها، ومن واجب كل من يتصدى لعملية التنمية في مجتمعه أن يجيب على أسئلة أساسية مثل: لمصلحة من تتم هذه التنمية؟! وهل تكون التنمية إقتصادية فحسب؟! أم تشمل المجال الإجتماعي والثقافي بدوره؟! وما نوع المجتمع الذي نريد أن نحقق عن طريق التنمية؟!.. ولو أمعن المرء التفكير في هذه الأسئلة لوجدها كلها أسئلة ايديولوجية، أي أسئلة تتعلّق بمجموعة الأفكار التي يرسم بها المجتمع طريقه في الحياة» (ص ٥٨).وانطلاقاً من هذا المفهوم الجدلي لقضية العلاقة بين التنمية والأيديولوجيا، يناقش د. زكريا وضعية الدول الرأسمالية الغنية في صلاتها بالدول التابعة الفقيرة، وكذلك أشكال الإستغلال الذي تتعرض له الدول العربية (الغنية بثرواتها النفطية) في هذا المجال، ويرد على المروّجين لدعاوى «النموذج الأميركي للتنمية» في بلد فقير الإمكانيات كمصر، وعلى فلاسفة «النشاط الإقتصادي الحر»، لأنه «عندما تكون الموارد محدودة، والسكان متزايدين، يكون معنى عدم تدخّل الدولة هو ترك الفرصة أمام السمك الكبير لكي يبتلع السمك الصغير» (ص ٦٧).

والخلاصة النهائية لحديث د. فؤاد زكريا، بسيطة، وقاطعة: «النموذج الأميركي أبعد ما يكون عن الإنطباق على مجتمع فقير محدود الموارد» (ص ٦٧). أما أولئك الذين يقدّمون كل شيء لأميركا على أمل أن تساعدهم أميركا في تكرار نموذجها الفريد، فهم في أحسن الأحوال واهمون، لأن «الحاكم، حتى حين يعادي شعبه في سبيل المصالح الأميركية، لا يجد من أميركا مساعدة إلا على التمادي في الطغيان، ولا يلقى منها أي توجيه يرده إلى صوابه أو يقلل من إمعانه في الظلم. وباختصار، فإن أميركا تجر أصدقاءها حتماً إلى الهاوية. وهذه ــ كما أدرك بعد فوات الأوان حكّام تهاوت تيجانهم في الآونة الأخيرة ــ عبرة لمن يعتبر» (ص ٧٠).

والكلام واضح لا يحتاج لمزيد من التعليق.

عرض: **أحمد المصري**